

## تفسير ابن كثير

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : { يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون } يعني يوم القيمة وما يكون فيه من الأهوال والزلزال والبلاء والامتحان والأمور العظام وقد قال البخاري هنا : حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : [ يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رباء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق قوله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس { يوم يكشف عن ساق } قال : هو يوم القيمة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - { يوم يكشف عن ساق } قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر : .  
ـ ( مالت الحرب عن ساق ... ) .

وقال ابن أبي نحیج عن محاہد { يوم يكشف عن ساق } قال : شدة الأمر وقال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيمة وقال ابن جریر عن مجاہد { يوم يكشف عن ساق } قال : شدة الأمر وجده وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله { يوم يكشف عن ساق } هو الأمر الشدید الفطیع من الھول يوم القيمة وقال العوّفی عن ابن عباس : قوله : { يوم يكشف عن ساق } يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى المضاحک وغيره عن ابن عباس : أورد ذلك كله أبو جعفر بن جریر ثم قال : حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الولید بن مسلم حدثنا أبو سعید روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزیز عن أبي بردہ بن موسی عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال { يوم يكشف عن ساق } يعني عن نور عظيم يخرؤن له سجداً ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الولید بن مسلم به وفيه رجل مبهم وآلة أعلم .

وقوله تعالى : { خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة } أي في الدار الآخرة بإجرائهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى ربهم فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه

ثم قال تعالى : { فذرني ومن يكذب بهذا الحديث } يعني القرآن وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه أنا أعلم به منه كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ولهذا قال تعالى : { سنستدرجهم من حيث لا يعلمون } أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى : { أیا يحسبون أنما نمد لهم به من مال وبنين \* نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون } وقال تعالى : { فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بفترة فإذا هم مبلسون } ولهذا قال هنا : { وأملي لهم إن كيدي متين } أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم بذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى : { إن كيدي متين } أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي . وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [ إن الله تعالى ليملأ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ] ثم قرأ { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي طالمة إن أخذه أليم شديد } وقوله تعالى : { ألم تسألهم أثراً فهم من مجرم مثقلون \* ألم عندهم الغيب فهم يكتبون } تقدم تفسيرها في سورة الطور والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهם إلى الله بلا أجر تأخذة منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد